التوليدية التحويلية: النشأة و التطور

Transformational generative :évolution and development

ربوح عبد الحفيظ[1]

طالب دكتوراه جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان
rabouhabdelhafid@yahoo.com

تاريخ الوصول./ :2018/12/02 القبول: 2019/05/27 /النشر على الخط: 2019/09/15

Received: 02/12/2018 / Accepted: 27/05/2019 / Published online : 15/09/2019

الملخص:

إن التغيير الجذري في اتجاه اللسانيات الوصفية حدث سنة 1957، عندما أصدر تشومسكي كتابه الشهير البنى التركيبية، "Syntactic Structure" معلنا بذلك عن منهج جديد في دراسة اللغة، أطلق عليه القواعد التوليدية التحويلية، وقد أحدث هذا التيار ثورة في عالم اللسانيات، فجاء بمفاهيم ومصطلحات جديدة، إلا أن هذه المفاهيم كانت مستعملة في النحو العربي؛ لكنها لم توظف كمصطلحات مضبوطة.

الكلمات المفتاحية:

التوليد، التحويل، الكفاءة، الأداء، البنية السطحية والعميقة.

Abstract:

The radical change in the direction of descriptive linguistics in 1957 occurred when Chomsky issued his famous book and syntactical structures, announcing a new approach to the study of language called the rules obstetric manufacturing has the latest this current revolution in the world of linguistics brought the new concepts and terminology, but these concepts have been used in Arabic but did not employ a controlled vocabulary of terms.

keywords:

generation, transformation, competence, performance, deep structure

[1] المؤلف المرسل: عبد الحفيظ ربوح الإيميل: rabouhabdelhafid@yahoo.com

مقدّمة:

سيطرت المدرسة الوصفية البنيوية على الدرس اللساني الحديث في الغرب ردحًا من الزمن، لكن بعض اللسانيين المحدثين ضاقوا ذرعاً بالطابع الوصفي الذي هيمن على الدرس اللساني الحديث، ففي سنة 1957 بدأت ثورة في الدرس اللساني ، "حين أصدر تشومسكى كتابه الأول (البنى النحوية) (Syntactic Structure)، ومن ذلك الحين تغير اتجاه اللسانيات من الوصفية المعتمدة على الشكل الظاهري للغة إلى منهج جديد، وهو ما يعرف الآن بالنحو التحويلي" [1] .

لقد مثل تشومسكي ثورة حقيقية على المدرسة الوصفية ، لأنه قوض الركائز التي تقوم عليها هذه اللسانيات. لقد صار المنهج التحويلي من المناهج الحديثة المعاصرة في الدراسات اللغوية العربية، وأصبح له شأن كبير في أمريكا و أوربا. وبلغ أثره مجمل الدراسات اللغوية العالمية ومنها الدراسات اللغوية العربية، حيث بذل بعض اللغويين العرب جهداً خاصا في تطبيق أسس هذه الطريقة على الدراسات اللغوية العربية[2].

لقد "نشأ الاتجاه التوليدي على أنقاض اللسانيات البنيوية، فقد كان من الطبيعي أن تقود الانتقادات التي وجهت إلى البنيويين إلى البحث عن منهج جديد" [3]،هذا المنهج عقلي يقوم على "صياغة قواعد عامة يمكن أن تشمل سائر اللغات، وصياغة مثل تلك القواعد بغرض الاستناد إلى نماذج مفترضة مستنبطة وفقا لمعايير منطقية ورياضية، إلا أن التغيير الذي طبع النظرية اللسانية مع تشومسكي لا يحجب عنا إفادته من مدارس لسانية سابقة "[4].

لقد ظهرت مؤلفات تشومسكى والتي لفتت انتباه العالم المتخصص، وخاصة كتابه البنى النحوية (syntactic structure) . وكان هدف هذا الكتاب بناء نحو لتوليد الجمل و وصف خواص الأنحاء من أجل أن يكون النحو آليًا وعالميًا مبنيًا على نماذج ثلاثة [5]،وهذه النماذج العقلية الرياضية تهدف إلى <<وصف البنية النحوية >>[6].

لقد بلغت هذه المدرسة مبلغا عظيما ، ويكفي للاستدلال على أهمية هذه المدرسة ومبلغ نفوذها أن الدراسات اللسانية الحديثة إما أن تكون مهتدية بمبادئها ومفاهيمها، أو أنها تجعلها النقطة التي تبدأ منها لتبرير وتدعيم آرائها . لقد "كان علم النحو هو التخصص الوحيد الذي لم يبدأ مرحلة التطور حتى بداية القرن العشرين، وكان التقدم البطيء في ذلك الحين محكوماً بمظاهر الضعف في المنهجية، وكان علاج هذه أقل شمولاً وأقل تعقيدًا مما كان عليه حال الصوتيات والصرف، ذلك أن ظاهرة التركيب قد عولجت من جانب المعنى"[7].

---

[1] أحمد مومن، "اللسانيات، النشأة ، التطور، "ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، الطبعة الثانية 2005،ص 202

[2] علي زوين، "منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديثة،" دار الشؤون الثقافية وزارة الثقافة و الاعلام ،بغداد العراق، ط1986،1، ص 43

[3] حافظ إسماعيل علوى، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته،" دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت لبنان، ط1، 2009،ص 261

[4] المرجع السابق، ص 261

[5] بريجتيه بارتشت، "مناهج علم اللغة،" من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار، ط 2 ،2010 ، ص 315

[6] المرجع السابق ، ص 315

[7] ميلكا إفيتش ، "اتجاهات البحث اللساني،" ترجمة سعد مصلوح ، وفاء كامل ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط2، 2000،ص 377

لقد دخل النحو أهم مراحل تطوره سنة 1957، وتحديداً حين تأسس النحو التوليدي (Generative Grammar)على يد الأمريكي نعوم تشومسكي. وقد "وضع هذا المصطلح لكي يؤكد أن مثل هذا النحو يقصد به الكشف عن القواعد الحاكمة على بنية الجملة وتراكيبها، واعتاد الباحثون أن يطلقوا مصطلح النحو التحويلي(Transformational Grammar)على نمط من أنماط النحو التوليدي نهض على أساس منهج معين في التحليل قدمه تشومسكي، ويهدف إلى التوصل إلى المكون الخاص ببنية العبارة (Phrase Structure)، وهو المكون الذي ينتج البنية الأساسية للجملة"[1] .

لقد حظيت كل أعمال تشومسكي بشهرة واسعة في الدوائر العلمية الأكاديمية، "كما حظيت نظريته التوليدية التحويلية في اللسانيات العامة والمعرفة الآنية بمكانة ورتبة هامة أهلتها أن تحتل الصدارة في الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية حول طبيعة اللغة الإنسانية، بل وتعدتها إلى المجالات الإنسانية الأخرى ، كالفلسفة وعلم النفس والمنطق"[2].

لقد حاول تشومسكي أن يسعى إلى إقامة نظرية عامة للغة "تصدر عن اتجاه عقلي (Mentalistic). وقد بدأ هذا الاتجاه خافتا في الأول ثم ما لبث أن قوي ، وصار أساس المنهج كله، وهذه النظرية العقلية تنبني في جوهرها على ما يمكن أن نسميه (لا نهائية اللغة). إنه يرى أن كل لغة تتكون من مجموعة محدودة جدًا من الفونيمات (الأصوات)، ومع ذلك فإنها تنتج عبارات وتراكيب وجمل لا نهاية لها"[3].

وإذا كان الأمر كذلك، فإن اللغة خلاقة بطبيعتها[4]، لأنها عقلية ولا يمكن تفسيرها وربطها بالسلوك (فعل ورده فعل)، وإنما يجب التوسع في الدرس اللغوي عقليا. لأن "كل متكلم يستطيع أن ينطق جملاً لم يسبق أن نطقها أحد من قبل ، ويستطيع كذلك فهم جمل لم يسبق أن سمعها"[5].

لقد بنى تشومسكي تصوراته المعرفية الجديدة على نقد المنهج السلوكي الذي تأسس على الافتراض الخارجي والسطحي للغة، كما نجده يتعمق في المقتضيات النفسية للمتكلم المبدع، لذلك فإن استلهامه للعقل يُعد إطارا مرجعيًا حدّد تشومسكي بموجبه وجهة نظره في مسألة اكتساب اللغة، والتي لا تأتي إلا وفق مبدأين هما: الكفاءة اللغوية و الآداء[6] الآني المعتمد على المعرفة اللغوية الخالية من العوائق النفسية والذهنية والاجتماعية.

---

(1) ميلكا إفيتش ، المرجع السابق ، ص 379

(2) مختار درقاوي ، "نظرية شومسكي التحويلية التوليدية، الأسس والمفاهيم،" مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي ،شلف، العدد 12 ، جوان 2014 ، ص 3

(3) عبده الراجحي ، "النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج،" دار النهضة العربية للنشر والطباعة، لبنان بيروت، ط 1979 ،ص 114

(4) ربوح عبد الحفيظ ، "التوليدية التحويلية في ميزان النحو العربي،" رسالة ماجستير، الموسم 2015/2014 ، جامعة تلمسان، ص 19

(5) عبده الراجحي ، المرجع السابق، ص 114

(6) مختار درقاوي، المرجع السابق، ص 04

تشومسكي والبنيوية :

لقد بنى تشومسكي نقده للبنيوية على فكرة أنها اكتفت بالجوانب السطحية للغة من خلال تقنيات التقطيع والتصنيف في غياب التفسيرات العميقة، ويبدو أن نقطة الضعف الرئيسة في مقاربة البنيويين والسلوكيين هي هذه النقطة، والاعتقاد بأن الذهن ينبغي أن يكون أبسط في بنائه من كل عضو فيزيائي[1].

"إن البنيوية – من منظور تشومسكي- اكتفت بوصف التراكيب اللغوية وتحليلها بطريقة شكلية، متجاهلة بذلك الدور الذي يلعبه المعنى على مستوى اللغات، ولم تبذل أي جهد في تحديد القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوين جمل غير محدودة، ومن ثم فهي لم تعط أي اهتمام للكفاية اللغوية، يضاف إلى ذلك أن البنيوية لم تلق النجاح اللازم لاهتمامها بالبنية السطحية فقط ، ولم تتمكن من وضع قوانين شاملة ، وتعميمات عميقة ، وعلى العكس من ذلك ، فإن القواعد التوليدية التحويلية لم تتوقف عند وصف اللغة ، بل تعدته إلى تحليلها وتفسيرها واستنباط القواعد العامة التي تحكمها"[2].

إن الفرق الجوهري بين البنيوية و تشومسكي هو انتماؤه للعقلانيين الذين يعتقدون أن العقل مصدر كل معرفة ، وهو أسمى من الحواس ومستقل عنها[3].لقد رأى تون J.P.THOUN إلى أن الفشل الذي عرفه علم اللسانيات ما قبل تشومسكي يمكن إرجاعه إلى الاتجاهات المناهضة للعقل، وقد نتج عن ذلك الفشل في ربط الوقائع اللغوية بما هو قابل للملاحظة في اللغة. وللقواعد التوليدية مهمة في غاية الصعوبة والأهمية ، لأنها معنية بدرجة أولى بما يسمى بالبني العميقة للغة؛ أي الوقائع الخاصة بالبنية اللغوية التي يمكن وصلها بما هو قابل للملاحظة[4] و التجربة .

إن الترميم الجديد الذي قدمه تشومسكي في تنمية الفكر اللغوي وتوطيد منهجية عقلية خاصة، هو محاولة جادة لإيجاد نسق تفسيري قادر على أن يفي بمتطلبات العلامة والمعنى، وخصوصًا الجانب الثاني الذي لم يعط حقه في التحليل في المدرسة التوزيعية باعتبار أن المنهج الموظف من قبلها هو منهج وصفي يركز على الجانب السطحي من العلامات اللسانية، دون تجاوز ذلك إلى المضمون أو ما يسمى بالبنية العميقة[5].

إن التغيرات الرهيبة التي أحدثتها اللسانيات التحويلية في الفكر اللساني العالمي انما هي – في أصلها- تغيرات منهجية ، هدفها إعطاء العقل حقه في المجال اللغوي، لأنه مناط التكليف، فهو مصدر كل معرفة . فتشومسكي يؤكد على أن وضع نظام محدد ثابت لتحليل العلامة اللسانية هو هدف طموح، وأن أقصى ما يمكن أن تصل إليه أية نظرية لغوية هو أن تقدم معيارًا أو إجراءً تقويميًا يهدف إلى ربط المعرفة اللسانية بالتكوينات البيولوجية ، حيث يتبين "أن للعامل الجيني الوراثي تأثيرًا على قدرة الإنسان اللغوية ، وأن ما يتمتع به الكائن البشري من عقل يمكنه من إدراك اللغة والإبداع فيها"[6].

---

[1] المرجع السابق، ص 04

[2] مختار درقاوي، المرجع السابق، ص 04

[3] أحمد مومن ، المرجع السابق، ص 204

[4] مختار درقاوي، المرجع السابق، ص 04

[5] المرجع السابق ، ص 04

[6] نعوم تشومسكي، "اللغة والمسؤولية،" ترجمة حسام البهنساوي، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2 ،2005 ، ص 15

"لقد جاءت هذه النظرة أو النظرية بوصفها ردة فعل مباشر على الفكر البنيوي الأمريكي بوجه خاص، و اعتراضا عليه أو نقضًا له، إذ هي في نظر التحويليين عاجزة عن بيان الحقيقة اللغوية في الكشف عن أسرارها والعلاقة بينها وبين الفكر، فعلم اللغة عندهم وظيفته الأساسية الكشف عن عقل الإنسان"[1]. لأن اللغة وعاء الفكر ومرآة عاكسة له، ومن ثم رفض تشومسكي"معطيات المذهب التجريبي والقول بالثنائية اللغوية"[2]. لأن الإنسان أرقى من هذا ، ذلك "أن جسم الإنسان قد بني على أصول متعددة، وهي معقدة وكلية و وثابتة وراثيا. وأن جسم هذه الأصول تتفاعل في سلوك يتقرر بيولوجياً"[3]. ولهذا ما جاء به السلوكيون يجانب الحقيقة والمنطق.

"إن العقل في نظر تشومسكي ليس ذلك اللوح الأملس الذي ترسم التجربة بصماتها عليه وتختط طبقة معينة من المجتمع ما تشاء عليه بما يتماشى ومصلحتها الخاصة، ولكن العقل – كما يشبهه ليبنيتز(LEIBNIZ) مثل الكتلة الرخامية التي يمكن نحتها في أشكال مختلفة، لكن بنية الرخام في ذاتها تفرض بعض القيود على إبداعات النحاتين"[4].

لقد أطاح تشومسكى بمقترحات الفكر اللغوي السلوكي باعتباره فكريًا بنيويًا يرى أتباعه أن العقل مجرد لوح أملس، فهذا التصور للعقل لا تقره النظرية التوليدية التحويلية، بل هو الحلقة الأرقى و "هو يقوم بدوره بأرقى الوظائف الإنسانية وأسماها، ومن ثم فإن التخمينات العقلية ينبغي أن تكون بديلاً نعول عليه في القول بصدق الحدس اللغوي عند الإنسان"[5].

لقد تأثر تشومسكي بأستاذه الوصفي (هاريس)، وشاركه في العديد من الأعمال اللغوية بعد أن كان كل منهما يتبع البنيوية ويخلص لها. كما تأثر بالفكر الديكارتي وفلسفته العقلية المحضة[6] ، فقد رأى أن خصائص الفكر الإنساني واللغة الإنسانية التي أكدها الديكارتيون كانت كافية تمامًا، وقد كانت –ولازالت– فوق حدود النوع المدرك من التفسير، فلا الفيزياء ولا علم البيولوجيا أو علم النفس السلوكي يرشدنا إلى طريقة التعامل مع اللغة واكتسابها وفهمها.

إن المطلع على آراء المدرستين يستطيع الوصول إلى نقاط الخلاف الرئيسة بين هاتين المدرستين وهي:[7]

1/ جعل البنيويون النصوص اللغوية موضوعًا لدراستهم، لكن التحويليين اتخذوا إبداع المتكلم ومقدرته اللغوية على إنتاج الجمل وفهمها حتى وإن لم يكن قد سمعها من قبل– موضوعًا لدراستهم[8]، كما اتجه التوليديون في تحليلهم للغة إلى الحدث اللغوي

---

(1) كمال بشر ، "التفكير اللغوي بين القديم و الجديد" ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ،طبعة 2005 ، ص 156

(2) نعوم تشومسكي ، المرجع السابق، ص 16

(3) نعوم تشومسكي ، المرجع السابق، ص 16

(4) أحمد مومن، المرجع السابق، ص 205

(5) نعوم تشومسكي ، المرجع السابق، ص 61

(6) أحمد حساني، "دراسات في اللسانيات التطبيقية ،" حقل تعلمية اللغات: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2009،2، ص 24و25

(7) رمضان عبد التواب ، "مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي،" مكتبة الخانجي ، مصر ، طبعة 3 ،1997، ص 187

(8) المرجع السابق ، ص 187

الخاص–بمتكلم اللغة، بمعنى هم يستقون مادة بحثهم من خلال مساءلة المتكلم، بخلاف البنيويين الذين اعتمدوا على النصوص اللغوية، لأن الجمل التي تتكون منها اللغة غير محدودة، ولكن الجمل التي تتكون منها النصوص محدودة[1].

2/ اهتم البنيويون بالتحليل الفونولوجي للتراكيب اللغوية ، أي دراسة الفونيمات و المورفيمات، ولكن التوليديين اتهموا بدراسة التراكيب اللغوية بنفسها (الجمل)، ذلك لأن الفونيمات و المورفيمات التي تتكون منها أي لغة في العالم محدودة، أما التراكيب (الجمل) فغير محدودة[2]، لذلك فإن البنيويين ينطلقون في تحليلاتهم من المورفيمات بوصفها أصغر وحدة لغوية، ثم الكلمات، ولكن التوليديين التحويليين ينطلقون في تحليلاتهم اللغوية من التركيب (الجملة)، ويعدونه قاعدة كل تحليل.

3/ اللغة في نظر البنيويين مجموعة من العادات الكلامية، لكن التوليديين التحويليين يرون أن اللغة ليست مجموعة من العادات الكلامية، لكنها تتميز بالخلق والإبداع ولها خصائصها التي تميزها عن لغة الحيوان، لذلك كان البنيويون السلوكيون يفسرون المقدرة اللغوية عند الإنسان تفسيرًا آليًا قائمًا على مبدأ مثير واستجابة، فيرون الإنسان كالآلة يردد ما عرف من التراكيب و الصيغ[3] . لكن التوليديين التحوليين رفضوا هذه المفاهيم، لأن الإنسان يختلف عن الحيوان في أهم جانب من جوانب نشاطه وهو قدرته اللغوية الخلاقة (الإبداعية في اللغة)[4].

4/ يرى البنيويون أن اكتساب اللغة ناتج عن تأثير البيئة على الطفل، لكن التوليديين التحويليين يرون أن الاكتساب اللغوي يكون عن طريق امتلاك الإنسان لمعارف لغوية تتضمن قواعد كلية، وأن الطفل يكوّن قواعد لغته بصورة خلاقة من خلال ما يسمعه من بيئته، و الأطفال يتعلمون أي لغة بشكل تطوري وسريع بغض النظر عن البيئة أو الجنس لهذا تبرزُ أهمية خاصة لقدرة الأطفال على بناء جمل نحوية صحيحة منتظمة، واشتقاقها من خلال ما يسمعونه من أبائهم وممن حولهم من الناس بحيث يستغلون نفس القواعد المنتظمة التي يسمعونها في بناء وتركيب جمل لم يسمعوا بها من قبْلٌ[5].

فالإنسان عند التوليديين التحويليين يخلق اللغة وهو يسمعها شيئًا فشيئًا، وخلقه لها مرده أنه يتمثل بواسطة جوهره المفكر نظامًا من القواعد المنسجمة المتكاملة، وذلك النظام هو النمط التكويني لتلك اللغة، وهو الذي يسمح بإدراك محتوى الكلام دلاليًا مهما كانت حدّة الصياغة التركيبية التي أفرغ فيها، فكأن لكل متكلم معرفة خفية بالنحو التوليدي للغته، "فاللغة ملكة وهي قدرة فعالة و غريزة فطرية وهي قدرة تخص الإنسان وحده"[6].

---

(1) مشال زكريا " الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية) ،" المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط2 1986، ص 13

(2) رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص 187

(3) عبده الراجحي ، المرجع السابق، ص 112

(4) مشال زكريا المرجع السابق، ص 28 و29

(5) جون ليونز " نظرية تشومسكي اللغوية " ت حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر ،طبعة 1،1985، ص 31

(6) نعمان بوقرة، "المدارس اللسانية المعاصرة،" مكتبة الآداب ،مصر،(دون معلومات اخرى)، ص 140

5/ يؤكد الوصفيون البنيويون أن لكل لغة بنيتها الخاصة، وقواعدها التي تتميز بها وتنفرد بها عن غيرها، لكن التوليديين التحويليين يرون أن اللغات تتشابه في قواعدها، وهم يحاولون كشف هذه التشابهات الكلية، فهي تشابه على المستوى العميق من المعاني[1].

كما يهدف البنيويون إلى تصنيف المدونة اللغوية وتحليلها إلى مؤلفاتها النهائية. لكن التوليديين التحويليين لا يكتفون بالوصف الظاهري للغة، وإنما يتعدون ذلك إلى "تفسير قواعد اللغة على مستوي التركيب، و القواعد هنا ذو مصطلح خاص عند المدرسة التوليدية، إنه يضم قواعد الصرف والنحو و الفونولوجيا والدلالة" [2].

إن القواعد التوليدية التحويلية قواعد لغوية صرفة، لأنها تتعامل مع المقدرة اللغوية عند المتكلم، " فهي تقوم بوضع وصف بنياني يقدم كافة المعلومات عن الجمل عبر هذه القواعد، من أجل كشف الجمل الأصولية من غيرها" [3]. لكن المادة اللغوية التي يتعامل بها البنيويون هي خليط من مؤثرات لغوية ونفسية واجتماعية، حيث إنها تركز على الأداء اللغوي الذي يتأثر بهذه العوامل، فهي ترى أن "دراسة المادة اللغوية التي أمامنا باعتبارها الشيء الحقيقي تتم دراستها في إطار سلوكي، مؤكدةً أن أي فعل لا يتم إلا في ضوء مثير (STIMILUS) واستجابة (REPONSE)، وقد أفضى ذلك إلى أن يكون المنهج البنيوي منهجا استقرائيا يجمع المادة ويصل بعد ذلك إلى القاعدة أو النظرية"[4].

7/ ركز البنيويون على الشكل الخارجي في دراستهم للغة، وهي الاتصال ونقل المعنى على أساس أن المعنى لا يخضع للتجريب العلمي، لأن المنهج العلمي يعتمد على ما يقع تحت الحاسة القابل للتجريب والملاحظة والقياس، لكن التوليديين التحويليين رفضوا أن يتعاملوا مع اللغة على هذا الأساس دون أن يتعدى ذلك إلى تفسير المادة اللغوية وإدراج المعنى في الدرس اللغوي، لأن المعنى يعد أمرًا ضروريا في التحليل اللغوي لدوره الفعال في شرح الملابسات، فبعض الجمل تحمل المعنى نفسه ولكنها تختلف في ظاهر تراكيبها[5]، فإذا أخذنا مثلاً الجملتين[6] : "كتب أحمد الرسالة، وكتبت الرسالة من قبل أحمد؛ فهاتان الجملتان لا تختلفان تختلفان إلا من الناحية التركيبية أي على مستوى البنية السطحية، أما من ناحية البنية العميقة فهما مرتبطتان إن لم نقل متطابقتان".

إن استبعاد المعنى من دراسة اللغة وتحليل تراكيبها يشبه وصف طريقة صنع السفن دون الإشارة إلى البحر كما يقول ديفيد كريستال، لهذا يعد التحويليون اعتبار المعنى في التحليل اللغوي أمرا ضروريا في شرح العلاقة بين الجمل التي تحمل المعني نفسه وتختلف في ظاهر تراكيبها[7].

---

[1] رمضان عبد التواب ، المرجع السابق، ص 187

[2] كمال بشر ، المرجع السابق ، ص 155

[3] مشال زكريا ، المرجع السابق، ص 102

[4] نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص 76

[5] رمضان عبد النواب ، المرجع السابق، ص 188

[6] أحمد مومن ، المرجع السابق، ص 212

[7] رمضان عبد النواب ، المرجع السابق، ص 188

8/ لا يستطيع البنيويون تفسير العدد اللانهائي من الجمل الصحيحة في أي لغة على الرغم من كون هذه اللغة تتكون من عدد محدود من الأصوات، كما أنه ليس بإمكانهم إيجاد تفسير لما بين بعض الجمل من علاقات كتشابهها في الشكل واختلافها في المعنى، أو اختلافها في الشكل على رغم إنها تعود إلى تركيب عميق واحد، لكن التوليديين يجدون لكل هذه القضايا تفسيرات في منهجهم[1]، فإذا أخذنا الجملتين:

1. طلب حمزة من الرسول أن يرتاح
2. قابلت صديقي مبتسمًا

فهاتان الجملتان كل واحدة لها معنيان، فالأولى هل طلب حمزة من الرسول (ص) أن يرتاح هو أم أن يرتاح الرسول؟ ، والجملة الثانية، هل المبتسم هو (أنا) أم الصديق؟.

إن القواعد التوليدية التحويلية تستطيع تفسير هذه الجمل بتحديد معناها في التركيب العميق، فإنه حتما سيختلف معه التركيب السطحي تبعًا لذلك، وهذا ما "يفسر سر اهتمام تشومسكي الكبير بالمعنى وجعله أساس دراسته على العكس تمامًا مما فعله بلومفيلد وأتباعه حيث حاولوا التخلص من الدخول في دائرة المعنى في التحليل اللغوي"[2].

الجذور العلمية للتوليدية التحويلية

إن القواعد التوليدية لم تظهر دفعة واحدة بل مرت بمراحل ثلاث[3]مهمة، مما جعلها تستمد مبادئها من مصادر متعددة، متعددة، لكن "من الواضح أن تشومسكي أقام منهجه على أساس عقلي حين رفض الوصف المحض للغة"[4]. ومن أهم مصادر مصادر الفكر التي استمدت منها هذه النظرية نجد:

1. الاتجاه العقلي الديكارتي: ويتضح هذا التأثير في كتابه (علم اللغة اللسانية)، فقد حاول تشومسكي إحياء بعض المفاهيم التقليدية العائدة إلى القواعد الفلسفية أو اللسانية الديكارتية، والمقصود بها كل الأبحاث اللغوية المتأثرة بمنهج ديكارت. "وعودة تشومسكي إلى تلك المبادئ العقلانية لا ينم عن رغبة في إحياء القديم أو التمسك به، بل التطوير الذاتي لواقع اللسانيات هو الذي قاده إلى مثل هذا السلوك"[5].

يرى تشومسكي أن البشر قد وهبوا ملكة فطرية، فالطفل يتدرج في تعلم اللغة، حيث يبدأ في سن معينة في إنتاج الجمل وما أن يصل إلى سن معينة حتى يكون قادرًا على التعبير عمّا في نفسه بعدد كبير من الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل ، وقادر –أيضا– على إدراك السليم من الجمل التي سمعها من غير السليم، ويأتي إلى المدرسة في هذه السن كي يتعلم كيف يكتب

---

[1] المرجع السابق، ص 190

[2] كمال بشر ، المرجع السابق، ص 158

[3] أحمد مومن، المرجع السابق، ص 205

[4] عبده الراجحي، المرجع السابق، ص 119

[5] حنيفي بناصر + مختار لزعر، "اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية،" ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 2009، ص 68

ويقرأ وليس كيف يولد جملاً[1]. فهو مزود بقدرة دقيقة من الأصول النحوية الكلية العقلية، وبهذا عد تشومسكي من مسلك العقلانيين "الذين يرون أن العقل الإنساني هو وسيلة المعرفة، على النقيض من الوصفيين الذين ينتمون إلى النحويين ممن يرون أن المعرفة مصدرها التجربة"[2].

"إن النحو لابد أن يتم بالحدس(INTUITION) عند المتكلم، لأنه ليس آلة تصدر أصواتًا وفقا لعوامل خارجية، وإنما هو هذا الشيء الداخلي الذي يجعله يتحرك، وهو متحرر من هذه العوامل"[3].

إن ربط اللغة بالعقل ظهرت قبل ذلك ، فتشومسكي ينطلق في تعريفه للغة من خلفية فكرية سابقة، حيث أشارة بعبارة واضحة إلى أن هذه الفكرة ليست جديدة، وإنما قالها همبولد (1835.1767) HUMBOLDT،[4] الذي يرى أن للغة شكلين؛ شكل خارجي آلي وشكل داخلي (عضوي)، والشكل الأخير هو الأهم، لأنه الأساس في كل شيء، أو هو البنية لما يحدث بعد ذلك على السطح، ولا ينبغي أن ننظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الظواهر المنفصلة بعضها عن بعض، "ولكن باعتبارها نظامًا عضويًا تتداخل فيه كل الأجزاء، ويؤدي فيه كل جزء دوره وفقًا للعمليات التوليدية التي تكون البنية العميقة"[5].

2) لقد كان للنحو العربي حظه الكبير في التأثير على افكار تشومسكي العقلية، وقد اعترف بعظمة لسانه فقال: "قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، و مازالت أذكر دراستي الأجرومية منذ عدة سنوات خلت –أظن أكثر من ثلاثين سنة– وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز رونتال، وكنت وقت ذلك طالبا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنلسلفانيا، وقد كنت مهتمًا بالتراث النحوي العربي والعبري"[6]وذلك للخصائص العلمية والمنهجية الدقيقة التي بني عليها النحو العربي في ذلك العصر.

3) تأثر تشومسكي بالنحو التقليدي، حيث يرى أنه "أكثر اقترابا من الطبيعة الانسانية في دراسة اللغة، وأن ما نحتاجه الآن قد يكون إعادة أصوله على أسس أكثر علمية"[7].

4) كان لعلم النفس بالغ الأثر في الدراسات اللغوية، فهو يرى أن علم اللسانيات فرع من فروع علم النفس الإدراكي، وأكدّ على ذلك في كثير من مقالاته ومؤلفاته مثل مؤلفه الشهير "اللغة والفكر" الذي ألفه سنة1968، وفي هذا الباب يرى تشومسكي أن مصطلحات المدرسة السلوكية مثل << المثير>>و <<الاستجابة>> و <<العادة>>و << الربط الشرطي>>

---

(1) بن زروق نصر الدين، "دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة،" كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة 1 ،2011، ص 84

(2) عبده الراجحي، المرجع السابق، ص 118

(3) المرجع السابق، ص 118

(4) أحمد حساني، المرجع السابق، ص 26

(5) عبده الراجحي، المرجع السابق، ص 123

(6) جون ليونز ، المرجع السابق، ص 13

(7) عبده الراجحي، المرجع السابق، ص 143

و << التعزيز>> كلها مصطلحات تحتاج إلى تحديد صارم عند التطبيق في حقل الدراسات اللغوية مثل ما حدث سابقا في مجالات علمية أخرى، وذلك لأنها مصطلحات فضفاضة تصدق على أي شيء، كما أنها خالية من أي محتوى علمي[1].

النتائج و التوصيات:

لقد أحدثت التوليدية التحويلية ثورة في اللسانيات، وذلك بتغيير المفاهيم السائدة إلى مفاهيم جديدة، نقلت اللسانيات من المحلية الى العالمية، بفضل كليات ومصطلحات اكتسبت شهرة عالمية، مثل: التحويل، التوليد، البنية السطحية والعميقة، القواعد، الحدس،... وقد اعتمدت هذه النظرية على العقل وأعطته حقه ، عكس النظرية السلوكية، ولذلك ظهرت هناك نقاط اختلاف كثيرة بين النظريتين. وهذا الاختلاف زاد من شهرة صاحب النظرية نعوم تشومسكي وأكسبه شهرة عالمية لا تضاهى.

لقد اهتمت التوليدية التحويلية بالبنية العميقة ايضا وليس بالبنية السطحية فقط، لأنها تكشف عن العقل الذي هو مناط التكليف ومصدر كل معرفة، فهو الذي يميز الانسان عن الحيوان، لذلك اهتمت هذه النظرية بالكفاءة والتحليل الجمل اعتمادا على الخلق والابداء التي يتميز بها الانسان.

قائمة المراجع و المصادر

1) أحمد مومن ، "اللسانيات، النشأة ، التطور،" ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، الطبعة الثانية 2007.
2) بريجتيه بارتشت، "مناهج علم اللغة" ، ترجمة سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار، ط 2 ،2005.
3) بن زروق نصر الدين، "دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة،" كنوز الحكمة، طبعة 1، 2011.
4) جون ليونز، "نظرية تشومسكي اللغوية" ترجمة حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية مصر ،طبعة 1، 1985.
5) حافظ إسماعيل علوى ، " اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته ،" دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت لبنان، ط1 ،2009.
6) حساني أحمد، "دراسات اللسانيات التطبيقية،" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2009،2.
7) حنيفي بناصر + مختار لزعر، "اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية،" ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 2009.
8) ربوح عبد الحفيظ ، "التوليدية التحويلية في ميزان النحو العربي،" رسالة ماجستير 2015/2014 ، جامعة تلمسان.

[1] جون ليونز، المرجع السابق، ص 209

9) رمضان عبد التواب ، مدخل إلى علم اللغة والمناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، طبعة 2، 1985.
10) عبده الراجحي ، "النحو العربي والدرس الحديث،" دار النهضة العربية ،لبنان ، ط 1979 .
11) علي زوين ، "منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديثة،" دار الشؤون الثقافية ،بغداد العراق، ط1.
12) كمال بشر، "التفكر اللغوي بين القديم و الجديد،" دار غريب للطباعة، مصر ، طبعة 2005 .
13) مختار درقاوي ، "نظرية شومسكي التحويلية التوليدية، الأسس والمفاهيم،" مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف الجزائر العدد 12 ، جوان 2014.
14) مشال زكريا ،"الألسنة التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)،" المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، طبعة 1986.
15) ميلكا إفيتش ،"اتجاهات المبحث اللساني،" ترجمة سعد مصلوح ، وفاء كامل ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط2، 2000
16) نعمان بوقرة، "المدارس اللسانية المعاصرة،" مكتبة الآداب ،مصر (دون معلومات أخرى).
17) نعوم تشومسكي، "اللغة والمسؤولية،" ترجمة حسام البهنساوي، زهراء الشرق، مصر ط2 ، 2005.